لجنة النشر للجامعيين

إبراهيم يبحث عن الله

تأليف

سيد قطب

عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجما أو معربا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول ، أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الوحيد لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة ، والثانى ، أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى لما نعتزم نشره من « القصص الدينى » إن شاء الله . وهناك حلقتان أخريان : أولاهما ستكون وقفاً على قصص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وثانيتهما ستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد اللواء الجوى محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير ، إنه أكرم مسئول .

المؤلفان

١

كان إبراهيمُ صبيا ؛ وكان يرى أباه وأهلَه وقومَه يصنعونَ أصناما من الحجر ثم يعبدونها ؛ وهو لا يعرف إنْ كانت هذه الحجارة آلهة أم لا .

فلما كَبِر وصار فَتًى ، فكر فى نفسِه ، وقال : هذه الأصنامُ أصلُها حجارة ، وأنا أعرف هذا ، وهى تُصْنع أمامى من الحجارة ، فكيف تكون آلهة ؟ وهل الإنسانُ هو الذى يصنعُ إلٰهه ، أم الإلٰهُ هو الذى يصنع الإنسان ؟ لابدّ أن اللهَ الذى خلقَنا شىءٌ آخرُ غير هذه الأصـــنام . ولابد أن أبحثَ حتى أجدَه ، وأشكرَه وأصلىَ له .

ومن هذا الوقتِ صار يبحثُ عن اللهِ الذى خلق الإنسان

٢

وفى ليلةٍ من الليالى كان جالسا وحدَه يفكرُ ويقول لنفْسِه : من هوَ الله ؟ وأين هو يا تُرَى ؟

وفجأةً لمع أمام نظرِه فى السماء كوكبٌ برَّاق . فنهض واقفا ، وأشار بيديه إلى الكوكبِ وهو فرحان ، وقال : هذا ربِّى . لقد وجدْتُه . إنه يلمعُ فى السماء من بعيد . إنه جميلٌ وليس مثلَ الحجارة التى يقولون إنَّها آلهة . وهو لا يتكسَّرُ مثل هذهِ الأحجار .

وراح يصلى لهذا الكوكبِ وهو منشرحُ الصدر ، ويقول : الحمد للهِ الذى وجدْتُه فى السماء ، مضيئاً لامعا جميلا .

ولـكن هذه الفرحةَ لم تتم ؛ فقد نظر إبراهيمُ فوجدَ الـكوكبَ اللامعَ قد غاب ، واختفى عن نظرِه ، ولم يعدْ يراه . فصرخ : يا إلهى . يا إلهى . أين تذهبُ وتتركُنى هنا وحدى ، وقد ظللْتُ أبحثُ عنك أياما ولياليَ حتى وجدتُك ؟ لا تغِبْ يا إلهى . استمعْ إلى صُراخى . يا رب . يا رب . . .

ولـكن الـكوكبَ لم يسمعْ ولم يَرْجِع !

عندئذ قال إبراهيم : لا ليس هذا إلهى . إنه يأفِل (أى يغيب) وأنا لا أُحبُّ الآفلين .

ومضى يبحثُ عن اللهِ من جديد .

٣

ومرَّت الأيامُ والليالى وإبراهيمُ يبحث . يبحث فى كل مكان . فى الجبالِ والوديان . وفى السماءِ وفى الأرض .

وينظر هنا وهناك . ولكنه لا يَرى الله .

وفى ليلةٍ جلس وحدَه حزينا يفكر . وفجأةً ظهر القمرُ مستديراً كاملا فأنار الدنيا حولَ إبراهيم . فانتبه فرأى القمرَ بازغا . قال : هذا ربى ! فكيف لم ألتفِتْ إليه من قبلُ يا تُرى ، وهو يَطْلُع فينيرُ الظلام ، ويملأُ الدنيا بالنور . وهو جميلٌ وعالٍ فى السماء ، ونوره يذهبُ إلى كل مكان ؟

وراح إبراهيمُ يصلى وهو فرحان . لأنه وجدَ اللهَ الذى كان يبحثُ عنه من زمان .

ولـكن هذه الفرحة لم تتم ، فقد نظرَ إبراهيمُ فوجدَ القمرَ يميلُ شيئا فشيئا ، نحو المغيب . ولما بدأ يهبطُ ويغيب زعق إبراهيم : يا إلهى لا تَغِبْ وتتركْنِى فى الظلام وحدى . ابقَ يا إلهُى فى السماء حتى أذهبَ إلى أبى وأُخْبره أننى وجدْتُك . ابق يا إلهُى . ابق يا إلهُى .

ولـكن القمرَ كان قد غاب . وترك إبراهيمَ وحدَه فى الظلام .

وبكى إبراهيم وهو يقول :

إنه لم يكُن إلهى . لقد أفَلَ وغاب . وإذا كان ربى لا يُعَرِّفُنى طريقَه ، فسأبقى ضالاً لا أراه .

ثم أخذ نفسَه وعاد إلى دارِ أبيه متألما حزينا .

٤

كان الجوُّ صيفا ، فنام إبراهيم على سطح الدار ، واستيقظ مبكرا قبل طلوع الشمس . يفكرُ فى اللهِ . وأين يكون .

وفجأةً أشرقت الشمسُ من الشرق كأنها كرةٌ ملتهبةٌ ضخْمة . فهتف إبراهيم : هذا ربى . هذا أكْبَر . . هذا ربى الذى يُرْسِل الضوءَ والحرارة ، فَيَنْبُتُ الزرع ، ويَدْفَأُ الناس ، وتصير الدنيا كلها نورا . هذا ربى وقد وجدْتُه أخيرا . فالحمد لله . الحمد لله .

وراح إبراهيمُ يُصَلى وهو فرحان . ثم خرج إلى الشوارعِ وإلى الحقول . وإلى الجبالِ ليرى النورَ والحرارةَ فى كل مكان . وفى كل جهةٍ يُوَجِّهُ وجهَه للشمسِ ويصلى . ويقولُ الحمد لله . لقد وجدتُك يا إلهى . الحمد لله .

ولـكن هذه الفرحةَ لم تتم . فإن الشمسَ قد أخذتْ تميلُ للغروب . واصْفَرَّت وضَعُفَتْ أشعتُها .

ولما غابَتْ من القرية . خرج إبراهيم يجرى إلى الحقول ، فوجد آثارَ الأشعةِ لا تزال باقيةً فيها .

ولـكن بعد قليل اختفت الشمسُ وراءَ الجبل ، فجرىَ ابراهيمُ وصعد الجبلَ فوجدَ آثارَ الأشعة لا تزالُ باقيةً فيها .

ولـكن بعد قليل اختفت هذه الأشعةُ أيضا . . . وأظْلَمَت الدنيا كلُّها حولَ إبراهيم . وهو وحيد .

عنـد ذلك قال إبراهيم : لقد وجدْتُ الله . إن اللهَ ليس هو الأصنامَ وليس هو الـكواكب . وليس هو القمر . وليسَ هو الشمس .

اللهُ الذى خلقنى موجود . ولـكنى أنا لا أراه .

موجودٌ فى كل مكان . وقادر على خلق كل شىء . ولـكن لا أقدر أن أراه .

هذا هو الله . هذا هو الله . وراح يصلى فوق الجبل وحيدا . وقلبُه لا يخاف .

٥

عاد إبراهيمُ إلى دار أبيه هادئًا فى هذه المرة ، فنام مستريحَ البال . وفى الصباح وجدَ أباه يصلى أمامَ الأصنام . فانتظر حتى انتهى أبوهُ من صلاتِه وذهب إليه ليكلِّمَه فى عبادةِ اللهِ وعبادةِ الأصـنام . ودار بينهما هذا الحديث :

— « يا أبتِ ، لِمَ تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يُبْصِر ولا يُغْنِى عنك شيئا ؟

— هذه آلهتى وآلهة آبائى .

— يا أبت إنى قد جاءنى من العلمِ ما لم يأتِك . فاتبَعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سويا .

— أنت تهدِينى طريقاً مستقيما ! أنت الولدُ الصغير ! تعرف أكثرَ منى ؟

— يا أبتِ لا تعْبُدِ الشَّيطانَ . إنَّ الشيطانَ كان للرحمن عَصِيا . يا أبتِ إنى أَخافُ أَنْ يَمسَّكَ عذاب من الرحمن . فتكونَ للشيطانِ وليا .

— أسمعُك تتحدثُ عن الرحمن . فمن هو الرحمَنُ هذا الذى تُحدثُنى عنه ؟ وهل كَفَرْت بآلهتى وكرهتها يا إبراهيم ؟ !

— إن الرحمَن هو اللهُ الواحدُ الأحد . وقد هدانى إليه ، فعرَفتُه بعد أن بحثْتُ عنه فى كلِّ مكان .

— اذهب . اذهب عنى . وإذا لم تذهب فسأقتُلُك

قتلا . اذهب بعيـــدا عنى . قلت لك !

— سلامٌ عليك ، سأستغفرُ لك ربى لعله يغفرُ لك يا أبى .

٦

ذهبَ إبراهيمُ إلى الملكِ والكُبَراءِ الذين معه . وهم جالسون أَمامَ الأصنامِ فى المَعْبدِ يُصَلُّون ، ليُعْلِمَهُم أنَّ هذهِ الأصنامَ ليست آلهة . وأنها لا تنفعُ ولا تَضُر وأنَّ اللهَ الذى يجب أن يعبدُوه هو الذى خلق السموات والأرضَ وخلقَ الناس ، وخلق كلَّ شىء .

قال : ما هذهِ التماثيلُ التى أَنْتُم لها عاكفون ؟

قالوا : وجدْنَا آباءَنا لها عابدين .

قال : لقد كنتُم أنتُم وآباؤُكم فى ضلالٍ مبين

قالوا : أجئْتَنَا بالحقِّ أم أنتَ من اللاعبين .

قال : بل ربُّكم ربُّ السمٰواتِ والأرضِ الذى فَطَرهُنّ (يعنى خلقهن) وأنا على ذلك من الشاهدين .

قال الملك : ماذا يصنعُ ربك هٰـــذا فى الدنيا يا إبراهيم ؟

قال إبراهيم : ربّى الذى يُحيي ويُميت .

قال الملك . أنا أُحيي وأُميت . وسأريك الآن هذا . . ثم أمر بإحضارِ رجلين من الفقراء فحضرا . وأمر السيافَ أن يَضْرِبَ عنقَ أحدِهما ويتركَ الآخر . ثم التفت إلى إبراهيمَ قائلا : أرأيت ؟ لقد أمتُّ واحداً وأحْييت الآخر .

قال إبراهيم : إن اللهَ يأتى بالشمسِ من المشرق . فأْتِ بها من المغرب !

عند ذلك بُهِتَ الملك ، ولم يستطعْ الإجابة . فقال

لأتباعهِ . أبعدوا هذا الرجلَ عنى . فطرده الحراسُ بالقوةِ بعيـدا .

٧

وصَبَرَ إبراهيمُ حتى انصرفَ القومُ من المعبد ، وجاء بفأسٍ كبيرة . وراح يضْربُ الأصنامَ يمينا وشمالا ؛ ولم تمضِ ساعةٌ حتى كانت الأصنامُ كلُّها قد تحولتْ فتاتا . إلا أكبرَ الأصنامِ فلمْ يُحَطِّمه إبراهيم ، بل تركه واقفاً وحده ، ووضَع الفأسَ فى عنقِه وتركَه ومضَى ، ونامَ مطمئنا .

وفى الصباح جاء الملكُ والقومُ إلى المعبدِ يصلون . ونظرُوا فوجدُوا الآلهة كلَّها مُفَتَّتَة ، والأرضَ مملوءةً بقطعِ الأحجار .

قالوا : من فعلَ هذا بآلهتنا ؟

قال بعضُهم : سَمِعْنَا بالأمس فتًى يُقال له إبراهيم يهدِّدُ بأنه سيحطمها .

قالوا : فأتُوا به أمامَ الناسِ ليكونوا شاهدِين على جريمته الكبيرة .

وجاءوا به فسألوه :

قالوا : أأَنْتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟

قال : بل فَعَلَهُ كبيرُهُم هذَا (وأشار بأصبعه الأكبر ففهموا هم أنه يقصِدُ الصنمَ الأكبر) فاسألُوهُم إِنْ كانُوا يَنْطِقُون .

قال بعضُهم : يظهر أنَّه صادقٌ فيما يقول . وأنه مظلوم .

ولكنهم رجعوا فقالوا : لقد علمتَ ما هؤلاء ينْطِقُون ! . . . فكيف نسألهم وهُمْ لا يتكلَّمُون .

قال : وإذا كانوا لا يتكلمون ، ولا يقدرون أن

يحمُوا أنفسَهم من التكسير فكيف تعبدونَهم ؟ أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكُم شيئاً ولا يَضُرُّكم . أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دونِ الله . أفلا تعقِلون .

قالوا : حرِّقُوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين .

٨

أمر الملكُ بالقبضِ على إبراهيم وحرْقِه . فأمسكُوه وبعثُوا الحطابين لجمع الحطبِ وفروعِ الأشجارِ الجافة ، وجمعُوا أكواماً كثيرةً منها وأشعلُوا فيها النار .

وعرَف الناسُ فى جميع الجهاتِ بميعادِ حرقِ إبراهيم فتجمعُوا جموعاً كثيرة ، ليشاهدوا هذه الحادثة العظيمة ووقفوا حولَ النار من بعيد .

ولما اشتعل الحريق ، صارت له حرارةٌ شديدة ، لا يُطيقُها الناس . وجاء أربعةٌ من الرجالِ الأشداء ،

فوضعُوا إبراهيمَ فى المَنْجَنِيق ، وقذفوا به فى النارِ فوقع فى وسطِها .

فهاصَ الكفارُ وزاطُوا . وقالوا : ذهب إبراهيم إلى النار التى كان يقولُ لنا إنكم ستدخلونَها . ها ها ها .

قال الله تعالى : يا نارُ كونى برداً وسلاماً على إبراهيم .

وما يشعرُ الكفارُ إلا وابراهيمُ جالسٌ فى وسطِ النارِ . والنارُ لا تمَسُّه بسوء ، ونظر بعضُهم فوجدَ إبراهيم يصلى للهِ وهو فى وسطِ النيران . فلم يصدقوا . وفركوا أعينَهم وعادوا ينظرون .

— إنه حى لم تحرِقْهُ النا ر . عجيبة !

— لا تقولوا هذا يا ناس . كيف لا تحْرِقُهُ هذه النيران الشديدة ؟

— وحقِ الآلهة : إنه لحىّ . انظروا ها هوذا يُصلى !

— إى والله ! إنه يصلى !

— هذا شيطان . شيطانٌ لا تحرقُه النار . هيا بنا . اجروا . اجروا وابتعدوا عنه . لئلا يحرقكم .

وهربوا جميعا . . . ولكن اللهَ أهلكَهُم . ولم يُنْجِ إلا إبراهيمَ الذى هجرَ البلدة كلها وذهَبَ بعيدا .

٩

وفى مرةٍ خطرَ على بالِ إبراهيم أن يسْألَ ربَّه : كيف يُحْيي الموتَى بعد موتِهم ويبْعَثُهم يومَ القيامة . قال :

ربِّ أرنى كيفَ تُحيي الموتى ؟

قال : أولم تُؤْمِن ؟

قال إبراهيم : لقد آمنْتُ ولكن أريدُ أن أعرِفَ فقط ليطمئن قلبى .

فأمَرَهُ اللهُ أن يأتِىَ بأربعةِ طيورٍ فيذبَحَها ويقطعَها ،

بعد أن يعرفَ شكلَها تماما ويضَع على كلِّ جبـــل جزءاً منها .

ففعل إبراهيم ذلك .

ثم قال له الله : ادعُهُنَّ يأْتينَك سعيا .

فدعاهُن إبراهيم ، فإذا الطيورُ الأربعةُ تأتى إليه تمشى على أرجُلِها كما كانت من قبل حية .

قال : آمنتُ أنَّ اللهَ على كلِ شيءٍ قدير .

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	١	ياتكِ فاتبَعْنِي	يأْتِكَ فاتَّبِعْنِي